الباب الرابع

فى الخبز والرقاق

- من كرامة الخبز ..
- أشعر الناس !
- خير ما يباع ويشترى !
- هل رأيتم .. ؟!
- مواقيت طعامية !
- أحسن مايكون فى وجه الخوان !

الباب الرابع

(فى الخبز والرّقاق)

من كرامة الخبز ...

قال بعضهم :

من كرامة الخُبز ألّا يُنْتَظر به الإدام[1] !

أطيب رائحة :

وعن أبى هُرَيرةَ — رضى الله عنه — ما شممت من رائحة أطيبَ من رائحة الخبز !

أشعر الناس :

وسئل بعض الصوفية : من أشعر الناس ؟

فقال : «ابن المعتزّ» حيث يقول :

رأيتُ بيوتًا زُيّنَتْ بنمارقٍ ... وزُيِّنَ ما فيها من الوشْي والطِّرْزِ

فلم أرَ ديباجاً ، ولم أرَ سُنْدُساً ... بأحسنَ فى دار الكريم من الخُبزِ[2]

خير ما يباع ويُشْتَرى :

وقال الصاحب[3] :

لم يَشْتَرِ الناسُ ولا بَاعُوا ... خَيْراً من الخُبزِ إذا جَاعُوا

---

(١) الإدام : ما يؤكل مع الخبز من طبيخ وغيره . ومن كرامة الخبز أنه يمكن أكله وحده .

(٢) النمارق : جمع نُمْرُقة . وهى الوسادة الصغيرة يُتّكأ عليها .

والوشْي : نقش الثوب ، ويكون من كل لون .

والطرز : الزخرفة والوشى .

والديباج : ضرب من الثياب سَدَاه ولُحمتُه حرير (فارسى معرب) .

والسندُس : ضرب من رقيق الديباج .

والمراد : أن الخبز يفوق فى حسنه كل ما يزين البيوت من نمارق وغيرها ، فهو زينة بيت الكريم !

(٣) ابن عباد ، له كتاب المحيط . (ت ٩٨٩ م)

هاتِ وصفَ رغيف !

وقال محمد بن الجراح لأبى المحقق غادر بن شاكر :

دَعْ عنك رسمَ الدّيَـــار ... ودَعْ صفـــاتِ العُقـــارْ
وهـــاتِ وَصْفَ رَغيـــفٍ ... حَلْقُـــــه شَمسُ النهارْ
فليـــسَ يحســـنُ إلاّ ... فى وصْفِـــه أشعـــارْ
وذاك أنى قديماً ... خَلَعْـــتُ فيـــه العِـــذارْ[1]

هل رأيتم ؟!

وقال اليعقوبى :

طبيبىَ الأرض ، ومنديلىَ الهَوَا ... وعلى الخبزِ من الجوع احتلامى
هل رأيتُم أحداً فيما مضى ... يرى الرُّغْفَانَ غيرى فى المنام ؟![2]

مواقيت زمنية طعامية :

وكان إبراهيم بن العباس يقول :

- **الخبزُ ليومه .**
- **والبِطّيخُ لساعته .**
- **والنبيذُ لسَنَتِه .**

أحسن ما يكون وجه الخوان !

وقال الثعالبى فى المُبْهج :

أحسن ما يكون وجهُ الخوان ، إذا حضرت شوارب الرغفان .

---

(١) دع عنك رسم الديار : الأطلال . أى لا تبدأ قصائدك بالحديث عما بقى من آثار الديار ، وبكاء الأطلال ، ولا تبدأ قصيدك بوصف العُقَار (الخمر) ، ولكن ابدأ بوصف الرغيف .

وخلع العِذار : ترك الحياء ، وركب هواه ؛ أى أنه حين رآه لم يستطع أن يمنع نفسه عنه ، ولم يجد لديه القدرة على مقاومة شهوة الجوع ؛ ولهذا عندما رأى الرغيف تخلى عن حيائه ووقاره ، وراح يلبى نداء الجوع ، وشهوة الأكل !

(٢) لاشك أنه كان يعانى الجوع ، ويحلم بالرغيف ، وقديما قال آباؤنا فى أمثالهم الشعبية «**حلم الجوعان عيش**» وهم يطلقون على الخبز «**عيشاً**» ؛ لأن الإنسان يعيش به وعليه .

أحسن وصف للرّقاق :

ولم أسمع فى وصف الرقاق[1] ، وإسراع الخباز خبزه أحسنَ وأبدع من قول ابن الرومى[2] :

إنْ أنسَ لا أنسَ خبازاً مررْتُ به ... يَدْحُو الرُّقَاقةَ مِثْل اللّمْحِ بالبَصَرِ
ما بينَ رُؤْيَتِهَا فى كفّه كُرَةً ... وبين رُؤْيتِها قوراءَ . كالقمَرِ
إلا بمقدار ما تنداحُ دائرةٌ ... فى صفحةِ الماء يُلْقَى فيه بالحجَر

وقال أبو طالب المأمونى :

رُقــاقُ بُرٍّ كلّمــا أُلْقِــيَتْ ... منه على مائــدةٍ واحــدهْ
خِلْتها حَلّــقَتْ واغتــــدت ... على حَواشى طَرْفها زائدهْ

---

(١) الرُّقاق : بالضم ــ الخبز الرقيق . الواحدة : رُقاقة .
ولا يقال : رِقاقة بالكسر ، فإذا جمع قيل : رِقاق بالكسر .

(٢) ابن الرومى : شاعر عباسّى عاش فى عصر بلغ كل شىء فيه أقصاه ــ كما يقول العقاد ــ وهو شاعر ــ من فرعه إلى قدمه ــ من الشعراء القليلين الذين تعد أشعارهم ترجمة لنفوسهم ، ومن يتأمل الخباز ، وهو يخبز الرقاق . وحركة يده يجد ابن الرومى قد أبدع الوصف والتشبيه . ويدحو الرقاقة : يبسطها . وتنداح : تسترسل إلى أسفل .